تجاربنا التاريخية في تعريب العلوم

إعـــداد

الدكتور/ مجاهد توفيق الجندى(*)

تراث الأمة وتاريخها أشبه شيء بجذور الشجرة الضاربة في أعماق الأرض لا قيمة لها في ذاتها مفصولة عن بقية أجزاء الشجرة وإنما تكون قيمتها بقدر ما تمد الشجرة به من أسباب الثبات والإستقرار، وما تزودها من عناصر النماء والأزدهار والاثمار.

ودراستنا التاريخية لتعريب تراثنا ليست لمجرد التشبث بالماضى ليعيش فينا أو نعيش فيه كما هو، وإنما هى ضرب من البحث عن النفس والتعرف إليها، واستخلاص عناصر الأصالة المتجددة، والنمو المتطور، التى تمتد إلى الحاضر وإلى المستقبل فتشكلهما في داخل إطار عام يحافظ على تماسك الأمة وتعاقب اجيالها واتصال حضارتها.

ولا يتأتى ذلك إلا عن طريق الدراسة المتانية والمنهج الموضوعى بعيداً عن الإرتجال، والأسلوب الخطابى والإنفعال العاطفى، والمبالغات السطحية.

ولذلك أرى أن جمعية تعريب العلوم – جعلها الله معقلاً لخدمة الإسلام وتعريب علومه وفنونه – أن عليها واجباً كبيراً للإسهام في هذا الميدان حيث ضمنت عملها برنامجا طويل المدى لإصدار «مراجع أساسية في الحضارة العربية والإسلامية» هدفه توضيح صورة متكاملة لفضل العرب والمسلمين في ميادين العلوم المختلفة الأساسية والتطبيقية ومشاركاتهم في بناء الحضارة الإنسانية في هذه الميادين، والتعريف بكل ذلك تعريفاً علمياً موضوعياً.

(*) أستاذ في قسم التاريخ والحضارة الإسلامية في كلية اللغة العربية الأم جامعة الأزهر – القاهرة.

ومثل هذا العمل الكبير يحتاج إلى وقت طويل لإستكمال خطوات المنهج الذى اقترحته دائماً وابداً وهو تكوين لجان فنية من كبار الأطباء والصيادلة والمهندسين وعلماء الفلك والكيمياء والطب والزراعة وغيرها لتوفير مادة كافية من المصادر الأساسية في هذه العلوم - بوضع خطة على عدد من السنين - لتكون أساساً في المستقبل لإصدار الكتاب الأم عن كل من هذه العلوم، بحيث يرقى هذا الكتاب إلى المستوى العلمى المرجو مترجماً إلى لغة القرآن.

غير أن حاجة جمهرة المثقفين من المواطنين العرب، وجل الطلبة في كليات الطب والصيدلة والعلوم والهندسة في حاجة ملحة عاجلة إلى وجود كتاب عربى لكل هذه العلوم والفنون[1].

العصر الذهبى لترجمة العلوم:

من العوامل التى تعين في التعرف على ثقافات الآخرين قصداً إلى الإفادة مما هو مناسباً منها، الترجمة وتعلم لغات الآخرين. ومدى الأقبال على الترجمة أو تعلم لغات الآخرين مؤشران لمدى قوة الأمة المتلقية.

فالترجمة حركة إيجابية فيها إيجاء بقوة الأمة وسعيها إلى ترسيخ القوة علمياً وثقافياً.

بينما يوحى تعلم اللغات الآخرى بشيئ من الضعف أو التبعية الثقافية. أما إذا تعلمت اللغات قصداً إلى النقل منها فهذا يدخل في المؤشر الأول الموحى بالقوة والسعى إلى ترسيخها.

---

(١) راجع مقدمة كتاب الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب بإشراف الدكتور محمد كامل حسين طبع على نفقة حكومة الجمهورية العربية الليبية - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (د.ت).

وكان من مؤشرات القوة لدى أمة الإسلام نقل علوم الآخرين وثقافتهم وخاصة منها المفيد والمتلائم مع المبادئ التى جاء بها الإسلام عند النظر إلى التعامل مع الحياة بناء وتعميراً وخلافة على الأرض وسعيا إلى بسط النور.

ومن هذا المنطلق بدأت حركة الترجمة قوية منذ العقود الأولى للإسلام، فأنتشرت مراكز الترجمة وبيوت العلم ودور الحكمة، وكان لهذه المراكز أثرها الفاعل في ثقافة المسلمين وعلومهم الدنيوية، وكانت هذه المراكز مؤشراً من مؤشرات الحضارة الإنسانية وصقلها وتأصيلها إسلامياً، ثم بعد إذن نشرها في الأمم الأخرى[٢].

حركة الترجمة:

نشأت حركة ترجمة العلوم إلى العربية في البداية على يد غير العرب ثم تولاها العرب أنفسهم، وأثمرت هذه الحركة ثمرتها حين هضم العرب هذه العلوم وتمثلوها، ثم تجاوزوا هذه المرحلة إلى مرحلة التأصيل فوجد منهم الفلاسفة والأطباء والمهندسون والفلكيون والكيميائيون وعلماء الزراعة وقد أضافوا إلى الحضارة الإنسانية تراثاً ضخماً في هذه العلوم وكان إسهامهم فيها طوراً طبيعياً أسلمها إلى الحضارة الأوربية الحديثة وكان سبباً لها.

ويروى ابن النديم أن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان، كان شغوفاً بالكمياء فاستقدم بعض العلماء من مدرسة الإسكندرية منه الراهب «ماريانوس» لتعليمه الكمياء والعلوم كما استخدم عددا من العلماء ترجموا له الكثير من الكتب اليونانية القديمة في الطب والكيمياء والنجوم، وكان منهم «أصطفا القديم» أول من بدأ بترجمة المؤلفات اليونانية إلى العربية.

---

(٢) دكتور على بن إبراهيم النملة، مراكز الترجمة القديمة عند المسلمين، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية السلسلة الثانية رقم ٤ ص ٥، ٦ رجيب ١٤١٢هـ - يناير ١٩٩٢م.

أدوار الترجمة في العصر العباسى:

الأول من خلافة أبى جعفر المنصور إلى وفاة هارون الرشيد أي من عام ١٣٦ إلى ١٩٣ هجرية.

وقد نبغ في هذا العهد عدد من التراجمة نذكر منهم من عنى بنقل كتب الطب الخاصة من أمثال يحيى بن البطريق وجورجيس بن بختيشوع، ويوحنا بن ماسويه وغيرهم.

الدور الثانى ويبتدأ من ولاية المأمون (١٩٨ إلى ٣٠٠هـ) وأشتهر فيه من التراجمة قسطاً بن لوقا البعلبكى. وحنين بن إسحاق، وابنه إسحاق بن حنين، وعيسى بن يحيى، وثابت بن قرة الحَرَّانى.

وقد بذل (المأمون) جهده في استخدام التراجمة وكان يتفق في ذلك بسخاء حيث أنه كان يعطى لكل من يترجم كتاباً بوزنه ذهباً[٣] وكان يُحَرِّض الناس على قراءة الكتب ويرغبهم في تعليمها. واقتدى به الكثيرون من أهل دولته في بغداد، فتقاطر إليه المترجمون من أنحاء العراق والشام وفارس، وفيهم النساطرة واليعاقبة والصابئة والمجوس والروم والبراهمة، يترجمون من اليونانية والفارسية والسُّريانية والسِّنْسِكريتية والقبطية واللاتينية وغيرها من اللغات.

وكثر في بغداد أسواق الوراقين وباعة الكتب، وأصبح هم الناس البحث والمطالعة، وظلت هذه النهضة مُستَعرة بعد المأمون إلى عدد من خلفائه..

---

(٣) كان الخليفة المأمون بن هارون الرشيد سخيا مع المترجمين غاية السخاء فقد روى ان حنين بن إسحاق كان غاية في الجشع وحب المال، فقد كان يكتب ما يترجم على ورقة سميك ثقيل ليكون ثقيلاً في وزه وكان المأمون يفهم ذلك جيداً ورغم ذلك كان يعطيه بوزن الكتاب الذى بترجمه ذهباً (الباحث).

أما تراجمة ***الدور الثالث***، الذى يبتدى من ٣٠٠ هجرية وينتهى حوالى منتصف القرن السابع الهجرى، فكانوا اكثر اشتغالاً بنقل المنطق والطبيعة منهم ابن يونس وسنان بن ثابت بن قره[٤].

وللنقل فيما يتعلق باللغة العربية أربع مراحل

المرحلة الأولى: نقل الفكر الإغريقى اليونانى والهندى والفارسى إلى اللغة العربية، إما مباشرة أو عن طريق اللغة السريانية.

المرحلة الثانية: نقل الثقافة الإسلامية باللغة العربية إلى اللغة اللاتينية مباشرة.

المرحلة الثالثة: نقل الثقافة الإسلامية واليهودية باللغة العربية إلى اللغة العبرية.

المرحلة الرابعة: نقل الثقافة الإسلامية واليهودية باللغة العربية إلى اللاتينية[٥].

– في الصفحات التالية نلقى ضوء ساطعاً على بعض ما أجملنا من خلال هذه العناوين:

---

(٤) راجع مقدمة كتاب الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب مرجع سبق ص٣١٢-٣١٣.

(٥) راجع د. على النملة مراكز الترجمة القديمة عند العرب – مرجع سبق – ص ١٣ – ١٤ والمراجع التى رجع إليها، أحمد شحلان دور اللغة العربية في النقل بين الثقافتين العرب واللاتينية في حلقة وصل بين الشرق والغرب، أبو حامد الغزالى وموسى بن ميمون – الرباط – أكاديمية المملكة المغربية ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م، ص ٢٥٧، ٢٨٤، ونؤكد على أن النقل في بداياته كان من اليونانية والفارسية والفهلوية والهندية عن طريق السريان، ثم انتقل المسلمون إلى مرحلة النقل المباشر إلى اللغة العربية عن اللغات الأخرى.

الفرق بين الترجمة والتعريب:

قالوا في الترجمة أنها نقل الكلام من لغة إلى لغة أخرى، والكلام هو اللفظ المفيد أي الجملة أو الجمل(٦).

والترجمة أيضا هى إيصال فكرة أو تبليغها، أو تحويل التبليغ إلى لغة أخرى وإعطاؤه شكلاً مكتوباً أو مسموعاً، أو وضع صيغة مطابقة لصيغة في لغة النقل(٧).

وبعض الباحثين يرى أن «الترجمة»، هى النقل من لغة إلى أخرى وينظر إلى هذا النقل على أنه «مزدوج»، ذو اتجاهين لأنه نقل من اللغة ونقل إلى اللغة، أما الاتجاه الواحد في النقل من اللغة أو إلى اللغة فهناك فرق فيه، فيرى أن النقل إلى اللغة العربية «تعريب» بينما النقل منها يكون «تعجيم»(٨).

---

(٦) قال ابن مالك – محمد بن عبد الله بن مالك الطائى الجيانى الأندلسى الشافعى إمام النحاء وحافظ اللغة ولد سنة ٦٠٠ هجرية بجيان وعاش في دمشق وتوفى بها سنة ٦٧٢، قال في مقدمة ألفيته في النحو والصرف وهى ألف بيت من الشعر يحفظها طلاب الأزهر ويدرسون عليها شروحاً وحواشي كثيرة – بصدد موضوعنا

كلامنا لفظ مفيد كاستقم ∴ وأسم وفعل ثم حرف الكلم

واحده كلمة والقول عـــم ∴ وكلمة بها كـــلام قد يؤم

راجع الألفية ط ٣ ص ٩ القاهرة دار الكتب المصرية ١٣٥١هجرية – ١٩٣٢م.

(٧) محمد ديراوى الترجمة إلى العربية – بجلة اللسان العربى عدد ٢٥ سنة ١٩٨٤م، ١٩٨٥م، ص ٥٥، ٧٥.

(٨) شحادة كرزون – الترجمة – بدايتها، أطوارها، توجهاتها، بعض نتائجها في أبحاث المؤتمر السنوى السادس لتاريخ العلوم عند العرب المنعقد في جامعه حلب بإشراف معهد التراث العربى ٢٢ – ٢٣ جمادى الثانى ١٤٠٢هـ / ١٥ – ١٦ إبريل ١٩٨٢م حلب، المعهد، الجامعة، سنة ١٩٨٤م ص ٣٠١ – ٣١٤.

أما كلمة «تعريب»، فلها من مدلولات لغوية أوردها أصحاب القاموس المحيط[*] ولسان العرب[**] وتاج العروس[***]، ومنها غير ما ذكرنا: تهذيب المنطق من اللحن، وقطع سعف النخل، وتعليم العربية، وكى الدابة بعد البزوغ عليها ونتف أسفل حافر الفرس، وتقبيح قول القائل، والتمتع والإنكار، والفحش في الكلام والتكلم عن القوم، والإكثار من شرب الماء الصافى.

ولكلمة تعريب استعمالات كثيرة قديماً وحديثاً ترجع في جملتها إلى معنى الإيضاح والإبانة والإفصاح، وهي تشمل في مدلولاتها إدخال اللفظ الأعجمى في الفصحى بعد صقله على منهاجها وإنزاله في أوزانها واقيستها، أما إدخاله دون إخضاعه للمقاييس والأبنية فيبقية دخيلاً على اللغة غير معرب.

ومن مدلولاتها جعل الفصحى لغة الكتابة والخطابة والتعليم والإعلام وجميع أنواع الاتصال الذى يستخدم الكلمة[٩] وبدت هذه الدلالة واضحة المعالم في شمال أفريقيا، فلما تخلصت دولة من نير الأحتلال الفرنسى (تونس

(*) للفيروز إبادى - مجد الدين محمد بن يعقوب ٤ أجزاء دار الجيل - بيروت، جـ١ ص١٠٦.

(**) لابن منظور - عبد الله محمد بن المكرم بن أبى الحسن بن أحمد الأنصارى الخزرجى ٦ أجزاء تحقيق عبد الله على الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهشام محمد الشاذلى - القاهرة - دار المعارف د. ت جـ ٤ ص ٢٨٦٣ - ٢٨٦٨.

(***) للزبيدى - محمد مرتضى الحسينى - تاج العروس - تراجم القاموس تحقيق عبد الكريم الغرباوى ٢٠ جزءا الكويت وزارة الإرشاد والأنباء ١٣٨٦هـ ١٩٦٧م جـ ٣ ص ٣٣٩ - ٣٤١ سلسلة التراث العربى ١٦.

(٩) عبد الهادى هاشم - مفهوم التعريب، مجلة مجمع اللغة العربية في دمشق مجلد ٦٣ عدد ٢ شعبان ١٤٠٨هـ - ١ إبريل ١٩٨٨م ص ٣٧ - ٤٣.

١٩٥٦م، الجزائر ١٩٦٣م، والمغرب ١٩٥٦م) عمدت إلى مشروعات عملية للعودة إلى اللغة العربية(١٠).

ومن مدلولات كلمة التعريب النقل من لغة أعجمية إلى اللغة العربية ولكن مع اختلاف يسير عن مدلول الترجمة، إذ ربما كان النقل في الترجمة الفورية في المناسبات التى يشترك فيها من لا يستطيعون الاتصال بلغة واحدة، وكذا في ترجمة الكلمات والخطب والتقارير والمواثيق والمعاهدات الدولية، بحيث لا يتاح مجال للتصرف في العبارة، فأى تصرف في هذه المجالات قد يؤدى إلى تغيير جذرى في بند أو بنود من العقود بين الأطراف(١١).

ولما كان من مدلولات «التعريب»، بسط اللغة العربية على رقعة أوسع وأشمل من موطنها الأصل «الجزيرة العربية» هذا البسط الذى صاحب الكلام في إمتداده وانتشاره منذ بعثة محمد – صلى الله عليه وسلم – تبع هذا إقامة المراكز العلمية والجامعات الإسلامية في المشرق والمغرب، مما جعل اللغة العربية هى لغة العلم والمعرفة.

---

(١٠) عبد العزيز عاشورى – محاولة لتقويم تجربة التعريب في تونس، فاطمة الجامعى الحبابى، تقويم تجربة التعريب في المغرب، ومصطفى الفيلالى، تقويم تجربة التعريب في الجزائر، في التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربى والوحدة العربية، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التى نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بيروت المركز ١٩٨٢م ص ٢٩٩ – ٣٠٨ أيضاً، محمد المنجى الصيادى، التعريب وتنسيقه في الوطن العربى ط٤ بيروت – مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٨٠م، ص ١٣٨ – ١٧٩ «سلسلة أطروحات الدكتوراه /»١.

(١١) د. على بن إبراهيم النملة – مركز الترجمة القديمة عند المسلمين – مرجع سبق ص١١.

ومما أدى إلى قصد تديسها في الجامعات الغربية في أوربا هو الدعوة إلى النهل من علوم المسلمين وثقافتهم[١٢].

وشجعت هجرة المسلمين إلى الأرض الإسلامية الجديدة حاملين رسالة الإسلام القرآن والسنة ولغتهما عربية، فأدى هذا إلى تعريب، الامصار وشجع الخلفاء والولاة والأمراء أستخدام اللغة العربية.

وقد كتب الحجاج بن يوسف الثقفى[١٣] إلى أهل الكوفة، لا يؤمكم الأ عرابى، فوثب البعض بالقارئ، «يحيى بن وثاب» - وهو مولى كان يؤم الناس في الصلاة - ليمعنوه من ذلك، فلما علم الحجاج انبهم وقال، ويحكم إنما قلت عربى اللسان[١٤] وكان دخول الإسلام ولا يزال يعنى تعلم العربية.

---

(١٢) يعود تدريس اللغة العربية رسميا في الجامعات والمعاهد الأوربية سنة ١٣١٢م بإصدار مجمع فيينا الكنسى قرار بتأسيس عدد من كراسى والأستاذية في اليونانية والعربية والعبرية والسريانية في جامعات باريس واكسفورد وبولونيا، وافينيون وسلامانكا «أنظر ادوارد سعيد الاستشراق المعرفة تعريب كمال أوديب ط ٢ ص ٨ بيروت سنة ١٩٨٤م موسسة الأبحاث العربية».

(١٣) ينسب إلى قبيلة ثقيف، ولد سنة ٤٠هـ بالطائف وبها نشأ، رحل إلى دمشق وظهر كجندى حسور في جيش عبد الملك بن مروان، وفولاه أمر العسكر، قاتل الخارجين على الدولة الأموية ومنهم عبد الله بن الزبير تولى على الحجاز «مكة، المدينة، الطائف» والعراق، وثبت في المنصف عشرين سنة، وبنى مدينة واسط، وكان مشهور بالشدة لكن كان له محامد، مات بواسط سنة ٩٥هـ «خير الدين الزركاتى جـ٢ ص ١٦٨ طـ ٥، ١٩٨٠م دار العلم للملايين بيروت - ص ٢٥ ».

(١٤) عبد العزيز الدورى الإسلام وانتشار اللغة العربية والتعريب، في القومية العربية والإسلام. بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التى نظمها مركز دراسات الوحد العربية، بيروت المركز ١٩٠٠م ص ٦١ - ١٠٩ «نقلة عن اليلازرى في أنساب الإشراف - مخطوط»

وقد يكون النقل في الترجمة إلى اللغة العربية خاضعاً لتصرف المعرب من حيث الصياغة أو الزيادة والنقص في الفكرة المنقولة، بحيث لا تتغير الفكرة العامة، ولكنها لا تكون بالضرورة كما جاءت في أصلها اللغوى، عندئذ يصبح هذا النوع من النقل تعريباً، وليس ترجمة، وينال عليه المعرب من التقدير اكثر مما يناله المترجم[١٥] وبهذا يظهر أن النقل إلى اللغة العربية يدخل في هذا المفهوم، فهو تعريب وليس ترجمة فحسب وإذن فالتعريب أشمل من الترجمة، والترجمة بُعْدٌ من ابعاد التعريب، أو هى وجه من أوجه فعل أشمل، هو الذى «يُكوِّنُ التراثات»[١٦].

وهذا من حيث النقل إلى اللغة العربية، وإلا فالترجمة أشمل من حيث المفهوم من أنها ذات وجهين، نقل من اللغة وإليها[١٧].

ونقل العلوم عند المسلمين لم يقتصر على التعريب إلا في مرحلة من مراحل النقل، وربما صح القول أن النقل كان من باب الترجمة بالمفهوم المارّ ذكره، رغم أن كلمة ترجمة لم ترد واضحة في المعاجم إلا ما يتعلق

---

(١٥) محمد جابر الأنصارى التعريب الجامعى وحتمية المقاربة الميدانية، ظاهرة تأصيل التطبيق، أربعة أعتبارات أساسية لحسمها، مجلة رسالة الخليج العربى، مجلد ٨ عدد ٢٤ (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) ص١٥١، ١٨٩.

(١٦) أنطوان المقدسى، التعريب في دلالته التاريخية من الترجمة الى التعريب، مجلة الآداب مجلد ٢٣ عدد ١ (يناير ١٩٧٥م) ص ١٤، ١٦، ٤٩، ٥٥.

(١٧) محمد بداوى الترجمة الى العربية، مرجع سبق.

بالترجمان وهو الناقل من لغة إلى أخرى[١٨] ولذا قيل الترجمان هو الناقل مشافهة وتسمى اليوم «الترجمة الفورية»، والمترجم هو الناقل كتابة[١٩].

(١٨) الفيروزأبادى، القاموس المحيط جـ ٤ ص ٨٤، ابن منظور، لسان العرب جـ ١ ص ٤٢٦، مرجعان سبقا.

(١٩) الدكتور على بن إبراهيم النملة، مراكز الترجمة القديمة عند المسلمين، مرجع سبق، ص ١٣.

الحضارات المجاورة لبلاد العرب

جاورت بلاد العرب أربع أمم كبرى كان لها أثر بارز في نقل العلوم إلى العربية هى اليونانية الإغراقية والسريانية الشرقية والفارسية والهندية، أما الحبشية من الجنوب فلم يكن لها كبير تأثير على اللغة العربية والعرب والمسلمين إذ لم تكن بها حضارة قائمة تذكر في الوقت الذى بدأ فيه العرب الإفادة من الثقافات الأخرى، عدا العلاقات التجارية التي ربطت بين الأحباش والمكيين والعلاقات السياسية بينهم وجنوب الجزيرة، وعلاقات لغوية اقتبست فيها اللغة العربية بعض من الألفاظ الحبشية كالبرهان والحواريين وجهنم ومائدة وملاك وشيطان وغيرها(٢٠).

ولم تقم علاقة قوية بين اليونان والعرب قبل الإسلام، إلاّ ما كان من استخدام البيزنطيين لبعض العرب في الشام حماة لهم من عرب الجزيرة – وربما كان الغساسنة حماة للعرب من البيزنطيين، ولكن هذا غير واضح إذا ما لوحظ أن العرب في الجزيرة كانوا لا يمثلون مطمعاً إقتصادياً أو سياسياً للبيزنطيين خاصة وأن المناذرة وقفوا في الشمال الشرقى للجزيرة، فأمن البيزنطيون تأثير الفرس على عرب الجزيرة.

إلا أن هناك علاقة علمية وفكرية قوية وغير مباشرة في البدء بين العرب واليونان بعد الإسلام جاءت عن طريق السريان.

وهذا يعنى أن هناك علاقات قوية بأن اليونان والسريان قبل أن تقوم علاقة مباشرة بين اليونان والعرب أو بين السريان والعرب، فكانت اللغة

---

(٢٠) فيليب متى، تاريخ العرب – ص ١٥٥ – ١٥٦ والمقصود هنا التمثيل بشيء من دخيل اللغة الحبشية على اللغة العربية «للتوسع» راجع دكتور محمد إبراهيم النملة حاشية ٢٦ ص ٢٢ من كتاب مراكز الترجمة القديمة عند المسلمين مرجع سبق.

اليونانية شائعة في مدارس السريان وبين المثقفين منهم خاصة، حتى أنهم لم يكونوا في حاجة إلى نقل الآثار اليونانية إلى لغتهم، لكن عندما اشتد ضغط الفرس في البلاد السريانية أخذ التأثير اليونانى يتضاءل شيئاً فشيء، فاضطر - شيوخ - المدارس عندئذٍ إلى نقل الآثار اليونانية إلى السريانية(٢١).

ولم يقتصر أثر السريان على الربط بين العربية واليونانية والإغريقية بل أنهم أسهموا أيضاً في الربط بين العربية والفارسية، حتى أصبحت اللغة السريانية جسراً لنقل حضارتى فارس والإغريق إلى المسلمين عن طريق الترجمة إلى السريانية ثم إلى العربية.

وقد حظى السريان بالثقة والإحترام في القرن الثانى إلى القرن السابع الهجرى، الثامن إلى الثالث عشر الميلادى، وكان أكثر المترجمين من السريان النساطرة، لأنهم كانوا اكثر قدرة على الترجمة من اليونانية واكثر اطلاعاً على كتب الفلسفة والعلوم اليونانية والفارسية، ويذكر أن مدارسهم قد بلغت أكثر من خمسين مدرسة فيما بين النهرين فقط وزاد عدد علماءهم على أربعمائة عالم ومترجم.

ولا تجحد الأهمية الكبيرة التى يتمتع بها النقلة السريان، ولكن هذه الأهمية لها حدودها المقررة التى لا يجوز أبدا تخطيها سواء في الحضارة الإسلامية، أو في أي حضارة آخرى(٢٢).

---

(٢١) عبد الرحمن مرحبا الموجز في تاريخ العلوم عند العرب - تقديم جميل صليبا - بيروت دار الكتاب اللبنانى ١٩٨١م ص ٦٧.

(٢٢) عبد الرحمن مرحبا - الترجمة ومدى تأثيرها في تحول الجدل الدنيى إلى اهتمام بالبحث العلمى الفلسفى - في المؤتمر السادس لتاريخ العلوم عند العرب - نفس المرجع ص ٣٢٨ - ٣٧٤.

وقد أخذ على كثير من الترجمات السريانية – من اليونانية – انها لم تكن دقيقة ولا واضحة وعندما بدأ النقل من السريانية إلى العربية صاحب الترجمات شيئ من الخلط والغموض، فلم يلبث العرب إلا قليلا حتى عرفوا ما في الترجمات السريانية من ضعف فعدلوا عنها وأقبلوا على التراث اليونانى يتلقون منه مباشرة – دون وسيط ثالث – وبهذا بدأ التفكير العلمى يستقيم(٢٣).

دوافع النقل

هناك مجموعة غير يسيرة من الأسباب والعوائق التى دعت المسلمين للجوء إلى حركة النقل من الثقافات الأخرى إلى العربية، بعض هذه العوامل فكرية بحته، وبعض منها تخطى مرحلة الفكر إلى الشغب بالفكر الآخر من قبيل التنافس ومحاولات التعرف على المكنون في الثقافات الأخرى.

ومن العوامل ما هو تجارى تسويقى نشأ عن ملاحظة توجه السلاطين من خلفاء وأفراد وولاة إلى التعرف على ما لدى اليونان والهنود من حكمة وعلم(٢٤).

ويمكن أن نرجع دوافع النقل من الثقافات الآخرى المجاورة مثل اليونانية والهندية والفارسية إلى الجوانب التالية:

١– حث القرآن الكريم على التفكير ففى القرآن آيات وصلت إلى ثمان عشر آية فيها دعوة أو لفته إلى التفكير (تتفكرون – يتفكرون، تتفكروا يتفكروا): وفيه آيات وصلت إلى تسع وأربعين آية فيها دعوة ولفتة إلى التعقل (يعقلون : تعقلون : تعقل : عقلوه)

---

(٢٣) محمد كامل حسين في الطب والأقرابزين – في أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية – القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م، ص ٢٣٥ – ٢٧٨.

(٢٤) عبد الرحمن مرحبا الترجمة ومدى تأثيرها – مرجع سبق – نفس المرجع والصفحة.

وفيه أربع آيات فيها اشارة إلى التدبر: (يتدبرون : يدبروا)[٢٥] وغيرها من الآيات التى تحث على التفكير في خلق السموات والأرض وتركيب جسم الإنسان والأنعام والكون كله، فلم يمض سوى نصف قرن حتى أخذت العلوم المختلفة طريقها إلى عقول هذه الأمة خاصتها وعامتها.

٢- نظام العلاقة المستمرة بين العبد وربه من خلال الإسلام تطلب التعرف على علوم تعين على تنظيم شئون العبادات والمعاملات المالية والشخصية والاجتماعية وضبط الحسابات وتوقيت الصلوات وتحديد القبلة وتقويم الأيام والشهور - وترتيب الخراج والزكاة، فاستعان المسلمون بالأمم المجاورة للتعرف على ما لديها مما يعين على هذا التنظيم.

٣- بدأ للعرب المسلمين أن المجد العسكرى والسياسى والاقتصادى والاجتماعى الذى وصلوا له لن تكون له قيمة أو تكون له قائمة إن لم يقترن بالمجد العلمى والنضج العقلى، فنزل القلم إلى ميدان العلم والفكر[٢٦].

٤- بدأ الفكر الإسلامي يأخذ طريقه الثابت منذ البعثة المحمدية مروراً بعصر الخلفاء الراشدين ودولة بنى أمية إلى دولة بنى العباس، وهذا الإنتاج العلمى الثقافي الفكرى محتاجة إلى شيئ من التصنيف والتبويب والتنظيم بعد مرحلة الكتابة والتدوين.

---

(٢٥) محمد فؤاد عبد الباقى، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، بيروت دار إحياء التراث العربى نقلا عن مطبعة دار الكتب العربية سنة ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م ص ٢٥٢، ٤٦٨، ٤٦٩، ٥٢٥.

(٢٦) محمد عبد الرحمن مرحبا، الموجز في تاريخ العلوم عند العرب، ص ٦٨ مرجع سبق.

٥- كان للخلفاء والأفراد والولاة تأثير واضح على حركة الترجمة إذ كانوا يشجعون هذه الحركة ويدعمونها دعما منقطع النظير. وهؤلاء كانوا أنفسهم علماء أحبوا العلم وأهله وأقبلوا عليه إقبالاً قوياً في الدولة الأموية وكذا الحال في الدولة العباسية، وكانت مجالسهم لا تجلوا من العلماء حية بالنقاش بل والمناظرات والمساجلات العلمية والأدبية[٢٧] وكان يحضر هذه المجالس العلماء من الثقافات الأخرى ممن أستخدموا مترجمين أو أختيرت أعمالهم للترجمة.

٦- إحتك المسلمون من العرب وغير العرب بالعناصر المثقفة في البلاد المفتوحة على أيديهم مما أيقظ عقولهم وقلب نظام تفكيرهم وترك آثارا عميقة بعيدة المدى في أذهانهم وأعدهم لقبول اللقاح الجديد والتماس كتبه[٢٨].

٧- كان انتقال الخلافة من الأمويين للعباسيين وانتقال السلطان من بيت إلى بيت أو من عاصمة إلى عاصمة لم يكن مجرد نقل بل كان نقل الخلافة من عالم إلى عالم ومن عقلية إلى عقلية فقد كانت الخلافة الأموية تصب جل اهتمامها على العرب والاعراب وأضحت الخلافة العباسية ذات مشاغل وهموم ثقافية حضارية[٢٩] لقد تميزت الخلافة العباسية بأنها أكثر إنفتاحاً على الثقافات الآخرى حيث كان يجرى في عروقهم الدماء العربية نشأ جل الخلفاء في أحضان الثقافات الأخرى.

---

(٢٧) شحادة كرزون الترجمة بدايتها أطوارها وجهاتها بعض نتائجها - مرجع سبق ص ٣٠١ - ٣١٣.

(٢٨) محمد عبد الرحمن مرحبا الموجز في تاريخ العلوم عند العرب ص ٧٠ مرجع سبق.

(٢٩) محمد عبد الرحمن مرحبا الموجز في تاريخ العلوم عند العرب ص ٧١ مرجع سبق.

على أن هناك بواعث آخرى للترجمة يذكرها من يريد التأكيد على تأثير أمة من الأمم على الأمة الإسلامية وتبرز من خلالها (الحاجة التى في نفس يعقوب) ومنها ما ذكره أحدهم بأن السريان والنساطرة والكلدان كانوا في حاجة إلى ما يتقربون به إلى الملوك والولاه فكرسوا حياتهم لخدمة العرب والفكر الشرقى(٣٠).

(٣٠) برصوم يوسف أيوب المراكز الثقافية المهتمة بالترجمة مرجع سبق ص ٣٣٨ في أبحاث المؤتمر السنوى السادس لتاريخ العلوم عند العرب حلب، سنة ١٩٨٤م.

أشهر مراكز الترجمة والنقل والتعريب إلى السريانية

وصلت مراكز الترجمة والنقل والتعريب إلى خمسين مدرسة، فيما بين النهرين فقط ويبدو أن حصر هذا العدد من المراكز متعذر لأن السريان لم يكونوا محصورين فيما بين النهرين، بل لقد أنتشروا انتشاراً واسعاً وصلوا فيه إلى إفريقيا وشرق آسيا.

فكان السريان الشرقيون يسمون بالنساطرة نسبة إلى - نسطوريوس - والسريان الغربيون يسمعون باليعاقبة نسبة إلى - يعقوب السروجى - إلا أن تأثير السريان النساطرة كان أظهر في حركة النقل من السريانية اليعاقبة[٣١] وهذه مجموعة من المدارس المشهورة بالنقل عن اليونانية والفارسية والهندية إلى السريانية وقد يكون منها مدارس أو معاهد نقلت علوم الهند إلى الفارسية وسنعرف بها سريعا على أن البعض منها مكتبات مستقلة أو هى جزء من دير أو معهد أو مدرسة.

١- **مكتبة الإسكندرية**: مؤسسة قديمة جداً إنشئت في القرن الثالث قبل الميلاد أحرقت للمرة الأولى سنة ٤٧ قبل الميلاد وأحرقها المقوقس مرة آخرى في القرن السادس الميلادى الأول الهجرى قريبا من دخول المسلمين مصر وزعها على حمامات الإسكندرية وقوداً لنيرانها[٣٢].

---

(٣١) إسماعيل مظهر - تاريخ تطور الفكر العربى بالترجمة والنقل من الثقافة اليونانية المقتطف مجلد ٦٦ عدد ٣ في ٣ مارس ١٩٢٥م ص ١٤١ - ١٤٩.

(٣٢) دكتور عبد الحليم منتصر - تاريخ العلم ودور العلماء العرب في مقدمة - القاهرة دار المعارف ١٩٨٠م ص ٣٧ - ٣٩.

وكان لها أثر في النزاع القائم على طبيعة المسيح - عليه السلام - فكانت تمثل عدم تعدد الآلهة وكانت اهتماماتها على الأخص وشهرتها بالعلوم والهندسة[٣٣].

والعمل جارم الآن على إعادة مجدها الذى كانت عليه ولا أهميتها ربما تحتاج إلى وقفة أطول.

٢- **مدرسة أنطاكيا**[٣٤]: نشأت في القرن الأول الميلادى واشتهرت على عهد عمر بن عبد العزيز عندما نقلت إليها أجزاء من مكتبة الإسكندرية.

٣- **معهد بلخ**[٣٥]: إهتم بتصدير الثقافة الهندية والفارسية إلى العرب.

٤- **مدرسة جند يسابور**: أنشئت في القرن السادس الميلادى للطب والفلسفة، جل علماءها من النصارى والنساطرة واللغة السريانية امتدت واستفاد منها بنو العباس خاصة فيما يتعلق بأسرة آل بختيشوع[٣٦].

---

(٣٣) أحمد سعيد الدمرداش مسيرة الفكر العلمى عبر التاريخ - مجلة المنهل السعودية عدد ١٤٥١ في ٦ رجب ١٤٠٧هـ - فبراير ١٩٨٧م ص ١٤٠ - ١٤٧.

(٣٤) أنطاكيا من الثغور الشامية توصف بالنزاهة والحسن وطيب الهواء، وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسمت الخير تقع على النهر العاصى «ياقوت الحموى معجم البلدان جـ ١ ص ٣٣٦ - ٣٧٠ بيروت دار صادر د ت.

(٣٥) مدينة مشهورة بخرسان من أجمل مدنها أكثرها خيراً وأوسعها غلة كانت تسمى بالإسكندرية (ياقوت الحموى معجم البلدان جـ ١ ص ٤٧٩ - ٤٨٠).

(٣٦) غانم هنا مأزق الترجمة الحضارى أبحاث المؤتمر السادس لتاريخ العلوم عند العرب جامعة حلب ١٩٨٤م ص ٣٩٥ - ٤٠٠ - وأسرة آل بختيشوع تعود إلى جورج يوس بن جبرائيل كانت له خبرة في الطب ومعرفة بالمداوه وأنواع العلاج خدم المنصور الخليفه العباسى الثانى وكان رفيع المنزلة عنده وخلفه ابنه بختيشوع في الخطوة ثم أحفاده من بعده جبرائيل ويوحنا وبختيشوع لفظ سريانى معناه عبد المسيح - (أحمد بن القاسم=

٥- **مدرسة حرّان**[٣٧]: اشتهرت بالفلك والرياضيات والفلسفة ومعظم أعضاءها من الصابئة والوثنيين انتقلت إليها العلوم عن طريق الإسكندرية ثم انطاكيا واهتمت بالترجمة إلى العربية[٣٨].

٦- **مدرسة الحيرة**[٣٩]: اشتهرت بالطب واللغة والفلسفة وتعد حركة من حركات الإتصال بين الثقافة الهلينية (حضارة الإغريق ومثلهم وطرق معيشتهم تؤرخ خاتمتها بموت الإسكندر سنة ٣٢٣ قبل الميلاد الموسوعة العربية الميسرة سنة ١٩٣١) - والثقافة الإسلامية كما كانت مركزاً للترجمة عن الفارسية قبل الإسلام وبعده.

٧- **مدرسة قنسرين**[٤٠]: أنشئت في القرن السادس الميلادى على الفرات لدراسة اللاهوت والفلسفة والعلوم الرياضية ونقلت آثار أرسطو عن اليونانية[٤١].

=ابن خليفة «ابن أبى اصبيعة»» المرجع عيون الأنباء في طبقات الأطباء شرح وتحقيق نزار رضا بيروت مكتبة الحياة ١٩٦٥م ص ١٨٣ ومابعدها.

(٣٧) بتشديد الراء وهى قصبة ديار مضر على طريق الموصل والشام اشتهرت بالفلاسفة كالبنانى وثابت بن قرة وأولاده «معجم البلدان جـ ٢ ص ٢٣٥ - ٢٣٦ ».

(٣٨) عارف تامر آثر الترجمة في الحضارة العربية، أبحاث المؤتمر السنوى السادس لتاريخ العلوم عند العرب ص ٨٢.

(٣٩) مدينة قريبة من الكوفة على موضع يقال له النجف كانت مسكن ملوك العرب اللخمين في الجاهلية «ياقوت الحموى معجم البلدان جـ ٢ ص ٣٢٨ - ٣٣١ ».

(٤٠) عش النسور انظر ياقوت الحموى معجم البلدان جـ ٤ ص ٤٠٣ - ٤٠٤.

(٤١) برصوم يوسف أيوب أول جسر عبرت منه ثقافة الروم الفرس إلى العرب المجلة العربية ص ٩٠.

عصر صدر الإسلام:

أرسل الرسول – صلى الله عليه وسلم – الوفود تحمل رسائله إلى ملوك الأمم الأخرى تدعوهم إلى الدخول في الإسلام وكانت الرسائل باللغة العربية وقد أرسل الرسول – صلى الله عليه وسلم – دحية الكلبى إلى قيصر ملك الروم وعبد الله بن حذافة السهمى إلى كسرى ملك الفرس وعمر بن أبى أمية الضمرى إلى النجاشى ملك الحبشة وحاطب بن أبى بلتعة إلى المقوس وبعوث آخرى أرسلت إلى ملوك العرب في عمان واليمامة والبحرين وتخوم الشام.

العصر الأموى:

كان معاوية بن أبى سفيان (ت ٦٠هـ) كان محباً للإطلاع على سياسات الملوك وسيرهم وكان لديه من ينسخون له الكتب مترجمة من اليونانية واللاتينية والصينية على اثر استلامه لهدية عن ملك الصين كانت كتاباً ترجم في عهده أو بعيد عهده(٤٢).

وأشتهر بعد معاوية حفيده خالد بن يزيد وكان مولعا بعلم الصنعة (الكيمياء) وقد ورث عن جده معاوية مكتبة قوية ضخمة ثم عبد الملك بن مروان الذى ترجم الدواوين إلى اللغة العربية واستمر ابنه الوليد ت ٩٦هـ على خط أبيه في تعريب الدواوين وتعريب الدولة.

---

(٤٢) لطيف الله القارى بدايات الترجمة في العهد الأموى (٤٠ – ١٣٢هـ) أبحاث المؤتمر السنوى السادس لتاريخ العلوم عند العرب ص ٢٨٥ – ٣٠٠.

الخلافة العباسية ١٣٢ - ٦٥٦ هجرية

العصر العباسى على العموم هو عصر ازدهار العلوم في الخلافة الإسلامية وحيث أن الخلافة العباسية ممتدة في الزمان فقد قسمت الترجمة فيها على ثلاثة أدوار الأول يبدأ بالمنصور ت ١٥٨هـ والرشيد ت ١٩٣هـ بين سنتى ١٣٦ و ١٩٣.

والطور الثانى يبدأ بعهد المأمون ت ٢١٨ أي من سنة ١٩٨ - ٣٠٠هـ ويعطى هذا الطور قرنين من الزمان هما أجل الأطوار بل وأجل حركة الترجمة على الإطلاق.

والطور الثالث يبدأ من سنة ٣٠٠هـ إلى نهاية الخلافة العباسية ورغم طول هذا الطور الزمنى (ثلاثة قرون ونصف) إلا أنه كان يمثل مرحلة النزول في المنحنى الذى بلغ أوجه ارتفاعا في عهد المأمون[٤٣].

لكن المقام هنا مقام مرور سريع ولا نستطيع التطويل أكثر من هذا وأحلنا على المراجع لمن يريد التوسع.

من آثار الترجمة الإيجابية:

١- حفظ التراث اليونانى والهندى والفارسى وخاصة منه النافع ونقله إلى الأمم الأخرى.

٢- صقل هذا التراث وبيان ما فيه من خلل عن طريق المراجعات والنقد.

---

(٤٣) فؤاد سيزكين نقل الفكر العربى إلى أوربا اللاتينية في حلقة وصل بين الشرق والغرب ص ٢٨٩، ومحمد مروان السبع حركة الترجمة العلمية وتوبعها في العصر العباسى «أبحاث المؤتمر السنوى السادس لتاريخ العلوم عند العرب» ص ١٨٩.

٣- قيام حضارة إسلامية راقية جمعت بين العلوم النقلية والعقلية بعد تخطى مرحلتى الأخذ والتأمل مما أكسبها طابع الديمومة والتميز عن الحضارات السابقة واللاحقة.

٤- ظهور طائفة كبيرة من العلماء الذين كانوا لهم أثرهم الواضح على الثقافات الأخرى التى تلت إبداعهم.

٥- اتسعت اللغة العربية بالمصطلحات العلمية والعبيرات الفلسفية التى انتقلت مع انتقال الحضارة الإسلامية إلى اللغات الأخرى.

لماذا تعريب[٤٤] العلوم الآن

مقدمـــــة:

اللغة أهم مقومات الوحدة العربية، وهي السمة الأساسية التى تربط العرب في كل مكان. واللغة العربية وعاء لتراثنا وحضارتنا ونور يضيء لنا المستقبل ويحفظ كياننا بين الأمم، ولذلك فهي أول علامات النصر في معركة تحقيق الذات ولا تستطيع أمة أن تحقق ذاتها من غير لغة. وقد سعت الكيانات الطارئة إلى اصطناع لغات لها أو إحياء لغاتها القديمة التى عفا عليها الزمن وصارت طقوساً تتلى في المعابد. ونحن إذا أردنا أن نبنى جيلاً صالحاً يرتبط بوطنه وأمته لابد من أن نعلمه لغته ليتخذها وسيلة للعلم وإتقانه، وإن التهاون في ذلك معناه فصله عن أمته وتوجيهه نحو الثقافة الأجنبية وحدها وركونه إلى ما يكتب الأجانب، وفي ذلك قضاء عليه وإذلال لأمته ووطنه.

من أجل ذلك قامت حركة التعريب لتعيد إلى الأمة كيانها وتحفظ وجودها في هذا العالم المتصارع.

وقد يكون التعريب صعبا في مراحله الأولى لتعودنا على ما ورثناه من الجيل السابق، ولكن العمل يغدو طبيعياً بعد فترة صبر ومجالدة وإيمان

---

(٤٤) لكلمة تعريب مدلولات لغوية أوردها صاحب القاموس المحيط ولسان العرب، وتاج العروس فبالإضافة إلى أن النقل إلى اللغة العربية «تعريب» والنقل منها «تعجيم» ذكروا للتعريب معان منها) تهذيب المنطق من اللحن، وقطع سعف النخل، وتعليم العربية، والتمنع والإنكار، وتقبيح قول القائل والإكثار من شرب الماء الصافى وكى الدابة بعد البزوع عليها... الخ القاموس المحيط للفيروز أبادى ٤ أجزاء بيروت دار الجيل د. ت ١/ ١٠٦، ابن منظور) لسان العرب – ٦ أجزاء – القاهرة دار المعارف د. ت ٤/ ٢٨٦٣ – ٢٨٦٨.

ويصبح البعيد قريباً. وبذلك يتم ما نصبوا إليه.

وبعد هذه المرحلة التى ستكون - بلا ريب - شاقة مضنية يكون الطريق رحبا أمام الباحثين.

وحينذاك يضاف الجديد بسهولة ويسر كما تفعل الأمم التى آمنت بلغاتها وأثبتت وجودها. ولن تتم الخطوة الأولى إلا بعد مثابرة وجهاد وتوعية تشترك فيها الجامعات والمؤسسات العلمية وأجهزة الإعلام وفي هذه المرحلة وغيرها ينبغى أن تلتزم أجهزة الإعلام باللغة الفصيحة ما استطاعت إلى ذلك[٤٥] سبيلاً وأن تحببها إلى النشء وتعودهم على سماعها وفهمها والتعبير بها وهي قادرة على أداء واجبها على خير ما ينبغى إذا وجهت توجيها صحيحاً ووضعت أمامها الهدف النبيل وانصرفت عن العناية باللهجات المحلية وتعميق الخلاف بين الأمصار العربية أو بين مدينة ومدينة أو قرية وقرية، كما نسمع أحيانا من ابتداع اللهجات أو إحياء لما اندثر منها إضحاكاً للجمهور أو نكاية بالأمة العربية.

وهذا أمر ينبغى مقاومته ويجب التأكيد على العربية الصافية ونشرها، فقد انتهى زمن التبجح بالثقافات الدخيلة والرطانة الأعجمية والتعالى على الشعب.

ولن تغنى الترجمة كثيراً لأن ما يصدر أعظم من أن يترجم ولا يمكن

---

(٤٥) ليس في وسائل الإعلام من لغتنا الفصحى الجميلة إلا نشرات الأخبار فقط وماعداها غالباً يكون بغير الفصحى والتى كثر الهجوم عليها ومحاربتها والتندر بمن يتحدث بها، حتى أربابها وأساتذتها في كليات اللغة العربية - أغلبهم - هجروها إلى العامية، وهذا شيء مؤسف ومخجل ينبغى لفتهم إليه خاصه في أماكن التعليم وتخريج مدرسى اللغة العربية، وللخروج من هذا المأزق ولابد من عمل مسابقات مستمرة ترصد لها مكافآت سخية.

متابعة كل ما يصدر وترجمته، وأن وضع الكتب العلمية أسهل وأيسر. وإذا كان لابد من الترجمة فيكتفى بأهم ما يصدر وبما فيه إضافات جديدة، أما الكتب التى تجاوزها العلم فلا قيمة لها وينبغى أن تطرح وأن تكون بعيدة عن أيدى الطلبة والدارسين. وبذلك نتابع الحركة العلمية ونرفع من أمامنا التهويل في كثرة الإنتاج العلمى، وهو ما يضعه بعض الدارسين عقبة كأداء في وجه الساعين إلى التعريب، وماهو بالعقبة التى لا تطال لأن الإخلاص والصدق والإيمان تكفل تذليل المصاعب وإنهاء الوضع الذى تحياه الأمة بغير لغتها.إن العزيمة الصادقة هي المنطلق في كل ما نسعى إليه ونقوم به، وإن الجهود التى بذلها المخلصون من هذه الأمة تؤكد صلاحية اللغة العربية للتدريس في الجامعات، فقد نمت وتطورت خلال هذا القرن تطوراً كبيراً.

وإذا كان من الصعب البدء في عملية التعريب منذ مطلع هذا القرن، فليس صعباً الآن بعد هذا التقدم الذى أحرزه العالم العربى، وبعد هذه الحركة العلمية المباركة التى تعم الأقطار، وهذه الجامعات التى تنشر نورها في الأفاق.

وهذه الكتب التى تغمُر المكتبات وتعمِّر العقول. وقد اتسعت العربية للحضارة قديما، وعبرت عن متطلبات الأمة، فكيف لا تتسع في هذا العصر بعد التطور الذي شملها والتقدم الذى دفعها أشواطاً بعيدة؟

لقد اعترف المنصفون بصلاحية العربية لتدريس العلوم في الجامعات وللبحث العلمى وقام عدد كبير منهم بالتطبيق ونجحوا إلى حدٍ كبير وإن لاقوا صعوبات في أول الطريق ذلّلوها بالجد والمثابرة والإيمان.

إن التدريس باللغة الأجنبية يحتاج إلى مرحلتين:

الأولى: إتقان اللغة الأجنبية التى يتم بها التعلم.

الثانية: تحصيل العلم.

والتعريب يُيسِّر العلم ويختصر المرحلة الأولى ويصرف المتعلمين إلى الفهم الذى يؤدى إلى التمكن من الإفادة العلمية واستيعابها وفي ذلك فائدة عظيمة وتقدم للأمة سريع.

يضاف إلى ذلك التعبير عن الأفكار والمعلومات باللغة الأم أوضح وأكثر دقة من التعبير باللغة الأجنبية التى لن يتمكن منها غير صاحبها وبذلك يخدم التعريب العلم ويصبح الطلبة والأساتذة قادرين على التعبير السليم والتأليف الدقيق ويزول الجفاء المصطنع بين الباحثين ولغتهم.

إن خلود اللغة العربية يرتبط بخلود الأمة ولن يتم ذلك إلا باتخاذها أساساً في التعليم الجامعى وقد أدركت شعوب العالم ذلك فسعت بكل ما أوتيت من قوة إلى تغليب لغتها وفرضها على المعاهد والجامعات ولا تكاد أمة في هذا العصر تدرس بغير لغتها إلا الشعوب المستعبدة التى ماتزال ترزح تحت وطأة الإستعمار، وإلا الجاحدون فضل أمتهم ودورها العظيم.

ولكن لماذا هذا العزوف عن اللغة العربية؟

إن الباحث المدقق ليجد الجواب واضحاً، فقد حاول الإستعمار منذ أن دخل ديارنا القضاء على اللغة والدين والتاريخ وكان مما قاله الحاكم الفرنسى لجيشه الزاحف إلىالجزائر: «علموا لغتنا وانشروها حتى تحكم الجزائر، فإذا حكمت لغتنا الجزائر فقد حكمناها حقيقة» وفعل مثلهم الإنجليزية حينما احتلوا بعض الأقطار العربية وأخذوا يشككون في صلاح اللغة العربية ودفعوا إلى صنائعهم هذا التشكيك وأشاعوه في مختلف الميادين، في المدارس والصحافة والمؤسسات العلمية، فالتمسك باللغات الأجنبية وفرضها على الأمة أثر من آثار الإستعمار والتبعية وقد كان بسبب الصراع بين لغات المستعمرين وكانت

كل دولة تسعى إلى نشر لغتها وتعزيزها بكل ما أوتيت من حيلة تارة وقوة أحيانا لأنها كانت تعرف أن الأمة العربية ستتحرر في يوم من الأيام وإن جيوشها الغازية ستعود مخذولة إلى ديارها وأن صنائعها ستولى الأدبار ولذلك عنيت بنشر لغتها وثقافتها لتظل البلاد المحكومة تحت نفوذها. وهذا ماحدث فقد انتقضت الأمة العربية تحررت من التبعية والأحلاف ولكن بعض أقطارها ما يزال في ظل الاستعمار الفكرى وهو ما يسعى المخلصون إلى إنهائه مهما كلفهم من جهود وتضحيات.

ومما يتصل بأثر الاستعمار وتسلطه نشوء بعض الجامعات العربية في ظل الاستعباد وبذلك كانت العناية عظيمة بلغة المستعمر وفرضها على أبناء البلاد المغلوبة، وكان لابد للجامعات في هذه الظروف القاسية من أن تخضع للأجنبي الذى كان بيده زمام الأمور، ففرص العمداء والأساتذة من أبنائه أو ممن يدينون له بالولاء. وقد سعى هؤلاء جاهدين أكثر من الأجنبى نفسه إلى خدمة أغراضه وتحقيق مطامعه وحاربوا كل من لا يدرس بلغة السَّيِّد، ومنعوا في كثير من الأحيان من لم يتخرج في جامعات أوربية أو أمريكية من العمل في الجامعات أو الوصول إلى مناصب قيادية فخسرهم الوطن وهو في أشد الحاجة إليهم.

وإلى جانب ذلك نجد سببين لم يكن للجامعات في دور نشأتها بد من تجنبهما:

أولهما: قلة الأساتذة العرب وقد فتح ذلك الباب على مصراعية للأجنبي والضالعين في ركابه، وكان ذريعة توصلوا بها إلى أهدافهم حتى بعد أن كثر الأساتذة العرب وأصبحوا قادرين على تسلم القيادة، ولكن كان قد فات الأوان فقد أحكمت القبضة على التعليم الجامعى – يومذاك – وفرضت المناهج والإتجاهات وأصبح التخلص من ذلك الواقع صعباً لأن الذين ظلت بأيديهم

السلطة بدأوا يُغيِّرون من أساليبهم الأولى يشيعون أن التدريس بالعربيّة مفسدة وأنه يؤدى إلى ضعف الطلبة وتدنى المستوى العلمى، وصدّق من لم يكتشف الخدعة هذه التعلّة وأبقوا الوضع على ما كان عليه.

وثانيهما: قلة الكتب العلمية وكان لذلك أثر في هذا التمسك باللغة الأجنبية فقد فتح العرب عيونهم في هذا العصر بعد سبات طويل ووجدوا كل شيء حولهم ساكناً وكان الغرب قد سبقهم واكتشف مالم يَدُرْ في خلد إنسان، وألّف في العلوم المختلفة، ولم تكن في العربية كتب تغنى فأخذوا ما يصدره الغرب وظلّوا كذلك حتى إذا ماستساغوا ذلك ووجدوه سهلاً يسيراً لا يكلف إلا تحويل النقود، ركنوا إلى الراحة وتركوا الجامعات على حالها لا يعنيهم من أمرها شيئ مادامو يجدون الكتب الأجنبية أمامهم، وما داموا قد حفظوا ما في هذه الكتب وعرفوا كيف يقدمونها للطلاب وإذا كان هذا الوضع مقبولاً في بادئ الأمر فلن يقبل بعد أن استقلت الأمة العربية وتطورت تطوراً كبيراً وأخذت تسابق الزمن وتبعث بأبنائها ليتفوقوا على أقرانهم في البلاد الأجنبية.

فهذه الأسباب:

١- الإستعمار والتبعية.

٢- نشوء بعض الجامعات العربية في ظل الإستعمار.

٣- فرض العمداء والأساتذة الأجانب أو من يدين لهم بالولاء.

٤- قلة الأساتذة العرب.

٥- قلة الكتب العلميّة باللغة العربية.

كانت العقبة الكأداء أمام أساتذة العلوم وهي عقبات كان لهم يد في بعضها ولم تكن لهم يدٌ في بعضها الآخر وكانت الأمة تأمل كل خير لولا

عقدة النقص التى شعرنا بها في أول عهدنا بالتبعية وقد ظلت هذه العقدة تراودنا وتلاحقنا وأصبحنا نأنف أن ندرس بلغتنا أو نقرأ بها ما يكتب المختصون، ولكن بعضنا لا يجهر بذلك وإنما يتحدث عما يصيب العلم من تدهور وعما يلف المستوى من هبوط إذا درسنا باللغة العربية، وإن ذلك سيحرم طلابنا من متابعة التطور العلمى ومواكبة العالم المتطور وهذه تعلات لا يقبلها وطنى غيور يحب أمته ويسعى إلى تقدمها وهو يرى دول العالم تدرس بلغاتها وتتسابق في البحث والإختراع[٤٦] ذلك مانراه من أسباب دفعت جامعاتنا إلى النكوص والتخلف عن الأخذ باللغة القومية. ويمكن أن توجه عملية التعريب توجيهاً صحيحاً إذا توافر عاملان في دعمهاهما:

الأول: إيمان الحكومات العربية بالتعريب، وهذا عامل رئيسى يعتمد عليه التعريب كل الاعتماد. والرأى أن الإضطراب سيظل ملازماً للحياة الجامعية مالم تتخذ الحكومات قراراً يلزم الأساتذة التدريس باللغة العربية كما فعلت حكومات العالم الأخرى لأنها تؤمن بأن التمسك باللغة تمسك بتراب الوطن وابتعاد عن التبعية.

ولم تقتصر حكومات العالم على هذا الجانب الحيوى وحده وإنما كانت تفرض كثيراً من الإتجاهات التى تراها صالحة وضرورية كفرض منهج معين أو نظام معين، لأنها تؤمن بأن ترك هذه المسائل للآراء المتضاربة لا يوصل البلاد إلى ما تصبوا إليه من تقدم وليست القضايا المصيرية مما تفتح له الأبواب لتدخل الرياح من كل جانب وليست جدلا يفضى إلى تبادل الآراء وعرض وجهات النظر كما كان أهل روما يفعلون وهم يرون المدينة تحترق

---

(٤٦) دكتور/ أحمد مطلوب: لماذا التعريب ص ٣٢ ومابعدها من مجلة: إحياء التراث العربى الإسلامي مجلة فصلية تصدرها جمعية إحياء التراث العربى الإسلامي في بغداد العدد الثالث – السنة الأولى ذو الحجة: ١٣٩٧هـ تشرين الأول ١٩٧٧م.

وإنما هي اتخاذ القرار الحاسم الذى يصون الأمة ويحمى ترابها وتراثها وآمالها في الحياة الحرة السعيدة.

والأمة على تعدد أقطارها قادرة على اتخاذ هذا القرار الحاسم لأن فيه عزتها وهيبتها وخدمة العلم والسير به نحو الإبداع.

وقد أدركت بعض قيادات الأقطار العربية ضرورة هذه القضية فأصدرت القرارات وحددت الأهداف وخطت خطوة جبارة في سبيل التعريب ولن تمضى سنوات كثيرة - إن شاء الله - حتى تجنى الأمة العربية ثمرة هذه الخطوة التى تتم على الإيمان العميق بالأمة ولغتها الخالدة وبذلك تكون هذه العملية رائدة تدفع إلى العمل المثمر وتنبى وحدة العرب وتحقق الحلم الكبير.

الثانى: إيمان العلماء والأساتذة بالتعريب ويأتى ذلك ذاتياً وهو ما نتوسمه في العاملين بصدق والحريصين على تقديم مافيه النفع لأبنائهم وأمتهم، أو يأتى من السلطة التى تقرر ذلك بحزم يدفع إلى العمل والإنتاج، وهذا ما نشهده في إمتنا هذه الأيام ويبقى الأساتذة والمعربون حاملين مشاعل الحضارة ينيرون بها لأمتنا العربية دروب الحياة.

فإذا تحقق ما أشرنا إليه استطعنا أن نقوم بالتعريب على أحسن وجه ويتم ذلك بأمور:

الأول: عقد المؤتمرات العلمية ذات المستوى الرفيع التى يشارك فيها العلماء من جميع الأقطار العربية ويبحث فيها ما يخص العلوم، ويعالج سبل تطورها ووضع الخطط التى تكفل ذلك على أن يلتزم المشاركون فيها بالقرارات ويعملوا جاهدين إلى ما يطحمون.

ونرى أن تشرف على هذه المؤتمرات الحكومات العربية متمثلة في جامعة الدول العربية لتكون قادرة على العمل والتخطيط ولتكون منفذة في الوقت نفسه.

الثانى: تشكيل هيئات أو اتحادات علمية تأخذ على عاتقها دراسة ظروف كل علم ومشاكله ووضع الأسس الكفيلة بتسهيل التعريب ووضع المصطلحات وإقرارها.

الثالث: قيام المجامع العلمية واللغوية بنشاط أوسع مما نلاحظه اليوم وهذه الوسائل قادرة على العمل لأن فيها العلماء واللغويين ولأنها تملك وسائل البحث والنشر.

الرابع: إصدار المجلات وتنسيق المجلات التى تصدر الآن، وتوجيهها نحو خدمة التعريب.

الخامس: العناية بنشر الكتب العلمية وتدريسها في الجامعات.

السادس: العمل على توحيد المصطلحات العلمية وإصدار المعاجم الموحدة لكى يصدر الباحثون عن منطلق واحد.

السابع: دعم المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربى بالرباط والإلتزام بما يتفق عليه العلماء والباحثون في ندواته ومؤتمراته.

الثامن: دعم اتحاد الجامعات العربية واتخاذ مكتبه حلقه وصل بين الجامعات العربية وسيخدم الإلتزام بقراراته ما نسعى إليه.

التاسع: إقامة ندوات للتعريب بين فترة وأخرى ليلتقى فيها أصحاب الشأن ويتبادلوا الآراء وينسقوا الجهود ويوحدوا الأعمال.

العاشر: نشر الوعى بين الجماهير وتهيئة السبل التى تكفل تحقيق الغاية من التعريب.

هذه الأمور وغيرها مما يدفع إلى نجاح التعريب، وحتى يتم ذلك ينبغى البدء في التعريب كما فعل القطر العراقى والقطر السورى وأيضا الجزائر وتونس والمغرب وغيرها. وهي تغذ السير نحو الرفاهية والخير وبناء المجتمع العربى الموحد.

وبعد هذا العرض نعود لنسأل ثانية: لماذا التعريب؟

ولعل الجواب ينحصر في أمور أهمها:

١- إن تدريس العلوم بالعربية في الجامعات قضية قومية تخص العرب كلهم، وإن الإعراض عنها تنكر للأمة وطعن في أهم مقوماتها. ومن استبدال لغة بلغته خسر قوميته وفقد كيانه.

٢- إن التدريس باللغة العربية يحررنا من التبعية ويترك أمامنا الأبواب مفتوحة ويهيئ لنا فرص الإفادة من جامعات العالم كله.

٣- إن التدريس بالعربية يدفع إلى التقدم ويخدم العلم ويخلق أجيالاً قادرة على الفهم الدقيق والتطور، لأن اللغة لاتنفصل عن التفكير ومن فكر بلغته كان أقدر من غيره على العمل والإبداع.

٤- إن التدريس بالعربية يشيع العلم بين الناس، فقد انتهى ذلك الزمان الذى كان العلم فيه ملكاً لطبقة خاصة، وكان الإسلام قد دعا إلى العلم منذ قرون، وفضل الله الذين يعلمون وكرم العلماء، وهو ما تسعى إليه الشعوب الناهضة في هذا العصر، وماتؤمن به الحكومات المخلصة.

هذا مايسعى إليه التعريب، ولن تكون أية دعوة صادقة مالم تتخذ هذه الأسس شعاراً، وإن التنكر للأساس الأول لاتقره أمة عرفت نفسها وأخذت طريقها في الحياة ولذلك لابد من أن يكون للحس القومى والوطنى والنزعة العلمية والنظرة الإنسانية دور في معالجة هذه القضية الحيوية ولابد أن يكون للحكومات والمؤمنين بأمتهم دور عظيم في خلق الأجواء العلمية وتشجيع الباحثين.

خاتمـــة

هذا وقد كان لنا في ماضينـا المجيد تراثاً عظيماً وكنـوزاً لاتقدر بمـال الدنيا ولكننا لم نستفد منها الفائدة المرجوة أهمانـاهـا وضيعناهـا فضـاعت معهـا كرامتنا كان هذا التراث لخير أمة أخرجت للناس سـرقه منـا الشـرق والغـرب فتقدموا وتأخرنا لقد أمسينا وأصبحنا فإذا في أعناقنا أمانة كبرى هى نشر هـذا التراث بعد تحقيقه وترجمته ونقله إلى لغات العالم فهذه دعوة إلى شباب الأمـة العربية والعالم الإسلامى أن يعكفوا على دراسة هـذا الـتراث المجيـد وتحقيقـه وترجمته ونشره حتى يكونوا جديرين بهذا التراث العظيم، وأن يتابعوا الـدرس والبحث بهمة نشيطة متوثبة حتـى تسـتطيع أمتهـم ملاحقـة الركـب الحضـارى والعلمى لتعود إلى مجدها التليد ولتتهيأ لها حياة أحسن وأفضـل[٤٧] ذلـك اننـى رأيت بعينى رأسـى عنـد أطبـاء الباكسـتان كتبـا فـي الطـب مـازلت مخطوطـة وعليها شروحا باللغة الأوردية وعلى سبيل المثال كتـاب «القـانون فـي الطـب لابن سينا» يستفيد منه طلاب العلم والمعرفة هناك ونحن عـن تراثنـا لاهـون،

---

(٤٧) راجع: د. مجاهد توفيق الجندى - الحركة العلميـة في مصـر في عصـر سـلاطين المـماليك البرجية ودور الأزهر فيها رسالة الدكتوراه سنة ١٩٨١م - تحـت الطبـع جـ ١ الفصـل الرابع (العلوم التى كانت تدرس في هذا العصر) بالأزهر وغـيره مـن المـدارس الإسـلامية المزدهرة، مجلة التصوف الإسلامي العدد ٤٩ جمادى الآخره سـنة ١٤٠٣هـ. ص ١٦ - ١٩، مارس سنة ١٩٨٣م. تحـت عنـوان «مـاذا صنعنـا للـتراث الإسـلامي في الاحتفـال بالعيد الألفى للأزهر، عدد ٥٣، ص ٤٠، ٤١، شوال ١٤٠٣هـ. يوليـو سـنة ١٩٨٣م. تحت عنوان: تراثنا الإسلامى يجب أن نعض عليـه بـالنواجد، كتابنـا: دراسـات وبحـوث جديدة في تاريخ التربية الإسلامي طبع سـنة ١٩٨٤م. توزيـع دار المعـارف ص ٢٦٠ - ٢٧٩.

وهذا الموضوع لم يستوف حقه من البحث والدرس لكننا سنعود إليه مرة ثانية لنستوفيه حقه إذا كان في العمر بقية وفي الحياة يسر وسهوله بحوله تعالى.

والله الموفق لطرق الصواب